أرى الثقلين الجنَّ والإنس أصبحا يمدّان أعناقاً إليك تقرّبُ
وما منهما إلا يرجّى كرامة بكفيك أو يخشى العقابَ فيهربُ
وما دون كفَّيك انتهاءُ لراغب ولا لِمُنَاهُ مِنْ ورائك مذهبُ

فالجن والإنس تمدّ أعناقاً إلى الوليد رجاء الخير والتماس الندى ؛ فكفاه لا يحيد عنهما راغب ولا يذهب عن الطلب منهما ذاهب ، وهذا كرم مستفيض يظهره الشاعر ويشهره . والنقاد يذهبون إلى أن مديح الفرزدق لم يكن عن إخلاص وحب ، وإنما كان تقليداً وواجباً ، يخلطه بالتفاخر والاعتزاز والتعاظم ، ويكسوه بالسؤال وطلب العطاء ، فقد هجا هشاماً ثم مدحه حين أصبح خليفة المسلمين .

وجرير مدح عبد الملك بن مروان ، فاستجدى واستندى وتكسب كذلك فجعل الكرم أهم صفات الممدوح ، وقدّم بين يدى ذلك غزلاً ونسيباً أو وصفاً على عادة القدماء ، فقال فيه :

أغِثْنى يا فِدَاك أبى وأمّى بسَيْب منك إنَّك ذو ارتياحِ[1]
فإنى قد رأيتُ علىّ حقًّا زيارتى الخليفةَ وامتداحى
سأشكرُ أن رددتَ علىّ ريشى وأنْبَتَّ القوادمَ فى جناحى
ألَسْتُمْ خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راحِ ؟

فهو يطلب إليه الغوث والكرم والسيب ، ويرجو أن يكسو عريه وأن يثبت قوادمه ، فهو كالطير إن لم ينجده لم يطر بين العالمين بذكر أو بشعر ، وانتهى إلى أن بنى أمية خير العالم وأنهم أندى الأقوام بطون راح ، وهذه الصورة أعجبت النقاد وأطربتهم ، فرأوا فيها أجمل الصور وأبدع التعابير فى هذا الباب ، فكان البيت أطيب ما عرف العرب فى المدح ، لأنه رفع ممدوحيه فوق العالم

(١) الارتياح : التحرك للعطاء والهشاشة له .